العدد الأول والثاني كانون الثاني
(يناير) - شباط (فبراير) ١٩٩٦
السنة ٤٤

الآداب

مجلة تعنى بشؤون الفكر

محمود درويش
سنزورها... في سيكاريو جديد

قصائد

محمد القيسي
زكي الأسطة
ليث الصندوق
إدريس الملياني
علي جعفر العلاّق
نور الدين صمّود
جمال الدين الخضور
ساجدة الموسوي

قصص

حسان يوسف الحمّد
مهدي عيسى الصقر
فاطمة يوسف العلي
يوسف أبو ريّة
الأزهر الصحراوي
خالد علي مصطفى
طلال حمّاد

مراجعة كتب

محمد بو عزّة
عايدة الجوهري

السيّاب ٧٠ عاماً على ولادته

جبرا ابراهيم جبرا - سامي سويدان - ماجد السامرائي - حسن ناظم - خالد علي مصطفى - خليل الخوري - سهيل ادريس - عيسى حسن الياسري

مثقفون عرب... وهذا السلام!

- هاني الراهب و«التطبيع الثقافي» ..... نبيل سليمان
- نجيب محفوظ ونزار قبّاني في «معركتهما» الأخيرة ... فيصل دراج
- المثقفون المغاربة والتطبيع:

عبد الكريم غلاب - مصطفى المسناوي - عبد القادر الشاوي

الآداب في عامها الرابع والأربعين

جانبنا الضعيف ..... عايدة مطرجي ادريس
أيهما تختار؟ ..... سماح ادريس

خليفة التليسي:

«أزمة» اتحاد الناشرين العرب

استفتاء

مثقفو المغرب والتطبيع

أجراه: عبد الحق لبيض

١ - التطبيع الثقافي

عبد الكريم غلاّب(*)

كلمة التطبيع جديدة في مفاهيمها، إذْ دخلت اللغةَ العربية مع اختراق الوجود الإسرائيلي للكيان العربي ووجدانه وفكره ومنطقه. فإذا عدنا إلى أصلها اللغوي نجد «الجذر» موجوداً في العربية... فيمكن أن تكون من «طَبَعَ» أخذاً من قوله تعالى ﴿وطَبَعَ اللهُ على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾ ومن قوله تعالى ﴿نطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ ؛ أو من «طَبَعَ فلاناً» أي عَوّده على شيءٍ ما... أو «طَبَعَ الدولارَ» أي صَاغَه وأَنْشَأَهُ؛ أوْ مِنْ «طَبَعَ الدابة والإنسان» أي حمّلهما ما لا يطيقان؛ أو من «طَبَعَ الشيء» أي دنَّسَهُ وشانه. ويمكن أن تكون مشتقّة من «طَبِعَ الشيء» أي دُنّس وعِيبَ في جسم أو خلق؛ أو «طَبع الثوب» إذا اتّسخ وتعفّن، ومثل الثوب: العقلُ والروح والوجدان. ويمكن أن تكون من «طبّع الشيء» بمعنى دنّسه ونجّسه. فإذا أضيف التطبيع بهذا المعنى إلى الثقافة فسيكون الأمر شبه خطير... ومنه «الطّبع» أي الوسخ الشديد، والطَّبِعُ أي الدَّنِس والدنيء الخلق. ويمكن أن يكون مشتقاً من «ضبع» على عادة العرب في تحويل حرف في النطق إلى حرف مجاور، فانقلبتِ الضاد طاء، ومعنى ضَبُعَ فلانٌ: جبن وكان في خلق «الضَّبُعِ»

هل «طَبَّعَ» تعني دَنَّسَ، أم أصلها من «الضَّبُع» وهي المشهورة بذكائها الخارق؟!

والضّبع معروفة بين الحيوانات «بذكائها» الخارق...!

اللغة هي مشكلتنا على الدوام. وهناك سؤال قفز إلى ذهني كما لعلّه أن يقفز إلى ذهن كثير من القرّاء: تطبيع ماذا؟ الجواب سهل: تطبيع الثقافة أي تحويلها إلى شيء مُطَبّع له طبيعة خاصة. فلنتحرَّرْ من الجار والمجرور، وسؤال: ماذا؟ مع: ماذا؟ ولْنَنفذْ إلى عقول دعاة التطبيع نبحث فيها عمّا يريدون أن يقولوا وإذّاك سنجد - والله أعلم - أنهم يريدون أن يقولوا. يجب أن نجعل الثقافة كالسياسة والاقتصاد. السياسة اختُرِقَتْ فأصبحت إسرائيل تفرض وجودها على القضايا العربية وعلى الوجدان العربي، أي تحقّق بالرضا والقبول والمصافحة والقبلات المتلفزة والتصفيق والهتاف و... ما لم تستطع أن تحقّقه بخمس حروب، رغم الهزائم الخمس. فكان الاعتراف أوّلاً (على وزن «غزّة وأريحا أوّلاً») ثم كان تبادل الزيارات، ثم تبادل المكاتب فالسفارات في غمرة الاتفاقات والمحادثات... وسيجيء الاقتصاد ليطبّع هو الآخر، وستكون رؤوسُ الأموال الأمريكية (الدولار) المطبوعة بنجمة داود لا بصورة جورج واشنطن أو أبراهام لنكولن. وتجيء الصناعة الاسرائيلية لتطبّع، أي لتصبح استهلاك كل العرب، والمواد الزراعية الإسرائيلية من الطماطم حتى البرتقال لتكون غذاء جميع العرب. ثم يجيء البترول العربي ليدركه التطبيع فيصبح بترولُ إسرائيل يجري في مواسير إسرائيلية تحت الأرض «الإسرائيلية»، وليعني التطبيع أن تقفل إسرائيل «الحنفيّة» متى شاءت أو تحطّم مجرى النهر البترولي العربي، أو ليضرب العمّال الاسرائيليون عن تسويق البترول العربي - الإسرائيلي. ويتخزّن دخل البترول العربي في البنوك الإسرائيلية تمنح منه للعرب ما شاءت وتحتجز ما شاءت، وتتاجر به وترهن ذمّة

(*) مفكر ومبدع وسياسي من المغرب. مدير جريدة **العلم** المغربية

العرب في بنوكها حتى إذا «أفلست» هذه البنوك أفلس كل العرب، وتحاصره إذا شاءت كما حاصرت دول الحلف الثلاثيني دَخْلَ العراق من البترول وصادرَتْهُ لتدفع به أجورَ الجنود الأمريكيين في عاصفة الصحراء.

ونصل بعد السياسة والاقتصاد إلى الثقافة. فكيف يطبّعون الثقافة؟ وأية ثقافة هذه التي ستُطبَّع؟ أمّا الثقافة بالمفهوم العامّ فهي مطبَّعَة منذ كانت ثقافة. لا أحد كان يستطيع أن يقف في وجه الثقافة العربية أو الثقافة اليهودية إنْ صحّ أنّ الثقافة تنتسب جميعها للدين أو للّغة، مادامت هناك حرية في التفكير والتعبير والتبليغ. ابن سهل اليهودي كان شاعراً عربيّاً، ولم يمتنع أحد من العرب المسلمين عن قراءة شعره، أو اعترض على إشاعة شعره لأنه يهودي. وابن ميمون كان فيلسوفاً يهودياً عربيّاً، ولم يعترض أحد على قراءة فلسفته وتقدير مقولاته لمجرّد أنّه يهودي؛ والذين عرّفوا بابن سهل وابن ميمون (كمثاليْن للمثقفين اليهود) في العصر الحاضر هم العرب المسلمون؛ والذين نشروا ودرسوا شعرَ الأوّل وفلسفةَ الثاني هم العرب المسلمون والمسيحيون لا اليهود البولونيون أو الروسيون أو الأمريكيون. وحينما كتب حاييم زعفراني اليهودي المغربي كتابه عن تاريخ **يهود المغرب في ألف عام** تلقّفه المثقفون المغاربة بالترجمة والترحيب والتقدير.

واللغة العبرية كانت من مشمولات الثقافة العربية في الجامعات العربية سواء على عهد الأندلس أو اليوم. وكانت جامعة القاهرة، وهي من أقدم الجامعات العربية في العصر الحاضر، تفرض دراسةَ العبرية على طلبة الدراسات العربية. وفي جامعة محمد الخامس تقرّرتْ دراسة العبرية وآدابها منذ نشأة الجامعة.

لا أحد من العرب وقف ينافح ضد

لم يعترض أحدٌ من المغرب على نشر نتاج ابن سهل وابن ميمون وحاييم زعفراني اليوم!

قراءة الإنتاج اليهودي الحديث رغم ما في بعض نصوصه من نزعة عرقيّة وروح عدائيّة(...) ولا أحد من دعاة الحرية العرب والمسلمين وقف في وجه ثقافة اليهود. ولكن الصهيونيين في إسرائيل هم الذين وقفوا في وجه الثقافة العربية منذ فرضوا وجودهم وحكمهم على الشعب الفلسطيني. اسألوا أطفال فلسطين، الذين حملوا الحجارة منهم والذين لم يحملوها، كيف قرأوا؟ وهل أتيح لهم ما أتيح لزملائهم اليهود من وسائل المعرفة: من المدرسة إلى الكتاب والجامعة، والمنحة الدراسية، أو الهجرة في سبيل العلم؟ هل التقى أحدٌ منا في أيّة عاصمة علمية بفلسطينيين خرجوا من أرض فلسطين المحتلّة ليواصلوا دراستهم على نفقة الدولة، دولة إسرائيل؟

التطبيع اكتسى نكهة «مغشوشة». أحد المستعربين اليهود ترجم رواية لتوفيق الحكيم وآخر ترجم نصّاً لنجيب محفوظ (بعد التطبيع الساداتي) فأقاموا الدنيا وأقعدوها زاعمين أن الصهيونيين منفتحون على الثقافة العربية. بعض المثقّفين المصريين وبعض الصحفيين دعوا إلى «التطبيع» ومنهم توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ولويس عوض، فرددت الصدى صحفُ الصهيونية من نيويورك حتى تل أبيب. بعض الإسرائيليين الذين وجدوا في القاهرة مركزاً للإشعاع الصهيوني أخذوا يتسلّلون إلى الندوات الثقافية المصرية ومنها ندوة نجيب محفوظ التي يحضرها ثلة من «الحرافيش». الرجل الطيب المطبوع بحرية الثقافة لم يجد في ذلك حرجاً، ولا أدرك - فيما يبدو - ما يقصده المتسلّلون إلى ندوة الأديب «النوبلي». اعتبر هذا التسلّل تطبيعاً للثقافة، أي تطبيعاً للثقافتين الصهيونية والعربية.

وما درى دعاة «التطبيع» أن الانفتاح الثقافي ليس في حاجة إلى قرار يصدر من تل أبيب أو من القاهرة أو من الدار البيضاء. فالمثقّفون منفتحون على الثقافة المتحرّرة من:

- اغتصاب الحرية ومصادرتها ومراقبة الشعراء والمفكرين والأساتذة والطلبة لأن لهم ذنباً واحداً هو الإيمان بوجودهم وهويتهم ووطنهم والتمسّك بحريّتهم.

-العنصرية العرقية التي تؤمن بشعب الله المختار وبأبناء الله وأحبّائه، والتي تؤهّل أبناءها لاغتصاب الأرض وإبادة الإنسان.

- البعد الوحيد الذي لا يتيح للآخر أن يقول كلمته أو ينشر كتابه أو يلقي درسه أو يحكي تاريخه أو يرسم خارطة بلاده.

ودون أن يكون هناك تطبيع، فإنّ المثقّفين العرب مستعدون ليقرأوا - وهم يقرأون بالفعل - كلَّ إنتاج اليهود، وحتى الصهيونيين منهم. فليقرأ اليهود - والصهيونيون بخاصة - بكلّ اللغات التي يتقنونها ما أنتجته الثقافة الإسلامية والعربية، وليستمعوا دون عقدة عداوة أو نقمة إلى الخطاب العربي سواء أكان سياسيّاً أم فكرياً ثقافياً ولو لم يعجبه، وليناقشوا الفكر العربي بكل حرية وتحرّر من العقد الهتلرية. فذلك هو التطبيع الثقافي.

كانت الحياة تسير في مجرى واحد بين العرب واليهود في جميع أنحاء الأرض بما فيها أرض فلسطين حتى جاءت الصهيونية فصبغت المجرى باللون الأحمر، وزرعت في الأرض العداوة والبغضاء.. المثقّفون - عرباً ويهوداً - ليسوا مسؤولين عن ذلك ومن أجل ذلك فالثقافة الحقيقية لا تحتاج إلى تطبيع. الحرية هي طابعها.